الدكتور نجيب الكيلاني

الوجه المظلم للقمر

مسرحية من فصلين

دار ابن حزم

صدر للمؤلف عن دار ابن حزم

- مدخل إلى الأدب الإسلامي
- تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية
- نحو مسرح إسلامي
- عمر يظهر في القدس ـ رواية (مترجم للإنكليزية).
- ملكة العنب ـ رواية.
- محاكمة الأسود العنسي ـ مسرحية.
- الوجه المظلم للقمر ـ مسرحية.
- أميرة الجبل ـ رواية.

الدكتور نجيب الكيلاني

الوجه المظلم للقمر

مسرحية من فصلين

دار ابن حزم



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الشخصيات

سالم، عبد الرحمن، فكري: طلبة بعثة يدرسون في أمريكا

إيتان: شاب أمريكي

الطبيب: أمريكي

مكان المسرحية

مسكن للطلبة الدارسين في إحدى المدن الأمريكية

زمن المسرحية

العام الماضي



الفصل الأول

المشهد الأول

(مدخل أنتريه على النمط الأمريكي، به مقاعد وأرائك، وتليفون ومكتب، ولوحات فنية، وأرفف كتب، وجهاز تليفزيون، ومسجل ـ يفتح الستار ويظهر شاب جالس خلف المكتب ورأسه ملقاة على المكتب، ينبعث غطيطه كأنه في نوم عميق).

(يدخل من اليمين شاب آخر يرتدي منامة فوقها روب دي شامبر).

عبد الرحمن: انهض يا سالم.. لقد تأخرنا عن الذهاب إلى الكلية.. استيقظ يا رجل..

(يهزه بعنف ـ وسالم يتحرك قليلاً ثم يعود للنوم).

عبد الرحمن: قلت لك قم.. إننا لم نأت من بلادنا إلى

أمريكا في بعثة كي ننام.

سالم: (وهو يتمطع ويتثاءب) دعني بالله عليك.. أنا لم أنم إلا منذ ساعتين..

عبد الرحمن: لكن موعد الدروس قد أزف، وأنت تعرف صلابة الأستاذ وشدته.

سالم: لا أستطيع.. لا أستطيع.

عبد الرحمن: (يهز كتف سالم): طالما حذرتك من طول السهر لقد جئنا لنتعلم لا لنسهر ونلهو ونعبث.

سالم: (وهو يحاول النوم مرة أخرى): لقد سئمت من وعظياتك أنا حر.. لا تتدخل في شأني مرة أخرى.

عبد الرحمن: إنه حق الأخوة التي تربط بيننا.

سالم: (وهو يغالب النوم): أنا لست قاصراً.

عبد الرحمن: وكيف أتجاهل باطلاً تمرح فيه.

سالم: من قال ذلك؟

عبد الرحمن: أحوالك المشينة.

سالم: (محذراً وملوحاً بسبابته): إياك والغلط.. لستَ وصياً عليّ أنا أعرف ما يجب عمله.

عبد الرحمن: إن انقطاعك المستمر عن الدرس يعني رسوبك.. ويعني طردك من الكلية.

سالم: (في غيظ): ولكنك لن تدفع الثمن نيابة عني.

عبد الرحمن: بل سيؤنبني ضميري.. وسيلومني أبوك وأهلك.

سالم: لست ولي أمري يا حبيبي.

عبد الرحمن: لم تعد تذاكر.. ولا تصلي.. ولا تنام كما يجب.. إن صحتك تذبل.

سالم: (يقف غاضباً وعيناه حمراوان ويدفع عبد الرحمن في عنف ويقول): اذهب لحال سبيلك، فلم أعد أطيقك.

عبد الرحمن: لقد حرت في أمرك يا سالم (يقترب من سالم ويتشمم فمه ويقول): هل شربت شيئاً؟

سالم: (يقهقه في استهتار): شربت إكسير الحياة.

عبد الرحمن: لو كان الأمر بيدي لأقمت عليك الحد.

سالم: (مقهقهاً مرة أخرى): إننا لم نأت من بلادنا لكي ندرس العلوم الشرعية، وإنما أتينا لنيل درجة الماجستير في السياسة والاقتصاد.

عبد الرحمن: وأنت لم تنل لا عنب الشام ولا بلح اليمن.

سالم: أي عنب.. وأي بلح.. نحن في أمريكا بلد العلم والحضارة أتفهم؟

عبد الرحمن: (في سخرية): إنك لا تتحضر.. بل تحتضر.

سالم: ماذا؟ ماذا؟ قلها مرة ثانية.

عبد الرحمن: (يرددها ببطء كي يفهم): أنت.. تحتضر.. ولا.. تتحضر..

سالم: (يهز رأسه، ويكز على أسنانه، وينظر

إلى عبد الرحمن في غضب): اذهب عني وإلا بطشت بك (ويرفع يده إلى أعلى).

عبد الرحمن: لم تعد تستطيع أن تبطش بعنزة.. إنك تكاد تقضي على صحتك وشبابك.

سالم: الناس لا توزن بالأرطال يا أحمق.

عبد الرحمن: سامحك الله، وبما توزن؟

سالم: (يقف ويمشي ويتراقص في حركات): يوزن الرجال بخفة الدم، ووسامة الوجه، وبراعة التفكير وبالمال والقدرة على الاستمتاع بالحياة.

عبد الرحمن: إنك تهذي.

سالم: (مبتسماً): هل هذا الكلام المرتب هذيان.

عبد الرحمن: بل ضلال وانحراف.

سالم: (في حركة تمثيلية): خسئت أيُها الأفعوان (ويقهقه).

عبد الرحمن: وا أسفاه.

سالم: حياتك لم تتغير.. أنت أنت.. لم تنجح أمريكا في إصلاح شأنك.

عبد الرحمن: بل قل في إفسادي.

سالم: أيها الصديق.. لكي تفهم أمريكا وحضارتها يجب أن تعيش أسلوبها في الحياة.

عبد الرحمن: أنا مسلم أعرف ما يجب عمله.

سالم: أعرف.. تريد أن تعيش في قمقم.. ولا تخرج إلا للدرس.. ثم تعود للأكل أو النوم أو المذاكرة.

عبد الرحمن: وماذا في ذلك.

سالم: لن تستوعب الحضارة.. يجب أن ترقص (يرقص سالم) وتغني مثل جاكسون.. وتحضر الحفلات.. ومجالس الأنس.

(يتوقف سالم فجأة ثم يلتفت إلى عبد الرحمن).

سالم: لقد أطرت النوم عن عيني.. دعني

وارحل إلى حال سبيلك.

(سالم يعود إلى المقعد، ويضع رأسه على المكتب وينام من جديد، بينما ينصرف عبد الرحمن قائلا).

عبد الرحمن: لم أعد أطيق هذه الحياة، ثم أرتدي ملابسي وأرحل.

(سالم يرفع رأسه فجأة ويقول):

سالم: إلى حيث ألقت رحلها أمُّ قشعر.

(ويعود للنوم.. ويظل على هذه الحال فترة، ثم يرن جرس التليفون مراراً وتكراراً.. يصحو سالم، ثم يذهب ليمسك بالسماعة).

آلو.. من؟ إيتان.. أيها الصديق الملعون ما الذي أيقظك مبكراً هكذا؟؟.. ماذا؟ رحلة.. أوه.. فهمت.. الماء والخضرة والوجه الحسن.. حسناً.. دعني أنم ساعتين.. لا بأس.. تعال لتنامَ هنا.. وبعدها نفكر ماذا نفعل.. أوه يا إيتان.. إنك كثيراً ما تعترض على أفكاري.. إني

أشعر بصداع رهيب يا إيتان الملعون.. إن الأقراص لا تعالج كل شيء (يقهقه سالم).. بالضبط هذا هو الدواء وليس الأقراص.. لكن حَذارِ يجب ألا يعلم زميلي عبد الرحمن أي شيء عن هذه الأمور، إنه جاسوس خطير، قد يبلغ أبي بنزواتي.. ها ها.. صدقت.. إنها نزوات جميلة مثيرة.. ها ها.. وماذا سنأخذ من الدنيا يا إيتان صدقت.. صدقت يا إيتان.. الناس يولدون.. ويشقون ويتعذبون، ثم يموتون.. أجل أجل فلماذا لا نمرح ونسعد، ونأكل ونشرب ونسهر ونحلم؟؟ (يتثاءب سالم).. آه.. اذهب عليك اللعنة (ويضع سماعة التليفون ثم يعود للنوم).

(تطفأ الأنوار في المسرح.. تظهر صورة والد سالم الحاج عبد الستار بلحيته البيضاء وملابسه الناصعة ومسبحة صفراء في يده).

الأب: ماذا فعلت بنفسك يا بني؟

سالم: أبي..

الأب: نعم أنا هو.

سالم: كيف أتيت إلى هنا.

الأب: الأرواح جنود مجندة يا سالم.

سالم: لا أصدق أنها حقيقة.

الأب: بين الوهم والحقيقة خيط رفيع يا سالم.

سالم: لا شك أني أحلم.

الأب: وماذا في ذلك.

سالم: هناك فرق كبير بين الحلم والواقع.

الأب: النتيجة واحدة.

سالم: كيف يا أبتي.

الأب: نحن نلتقي.. ولا يهم إن كان واقعاً أو خيالاً.

سالم: لم أعد أؤمن إلا بما ألمسه وأتحقق منه.

الأب: ذلك خطأ كبير.. إن أكثر من ثلاثة أرباع حياتنا غيبيات.. فالجنة غيب.. والنار

غيب.. والبعث غيب.. لكننا نؤمن بذلك.. ألا تؤمن به؟

سالم: بلى..

الأب: وأنت نسيت أنك الابن البكر.. وأن أمل العائلة معقود عليك وأنك جئت لتؤدي رسالة عظيمة وأنك من الأوائل الذين أوفدتهم الدولة في البعثة، وأن الملائكة تظل طالب العلم بأجنحتها.

سالم: (يصرخ): ليس هنا ملائكة يا أبي.. إنهم شياطين.. شياطين.

الأب: إنه مَلَكُ الله يا ولدي.. والملائكة موجودون في كل مكان.

سالم: والشياطين يا أبي؟

الأب: والشياطين أيضاً موجودون يا سالم.

سالم: أنا حائر.. أنا ضائع.

الأب: ذلك لأنك نسيت معالم الطريق.

سالم: أيُّ طريق؟

الأب: طريق النور.

سالم: أمريكا كلها أنوار.

الأب: إنني أعني نوراً آخر.

سالم: كيف أبي.

الأب: ذلك الذي ينزله الله على قلبك عندما تضرع إليه.. ثم ينساب من قلبك ومن ضميرك لينير لك الطريق.

سالم: هذه كلمات جديدة.

الأب: هي قديمة ولكنك نسيتها يا سالم.. إنني أرتاد مجالس العلم والمساجد وأهدي الناس إلى الطريق.. وأنت ترتاد الحانات وتراقص النساء و..

سالم: (مقاطعاً): لا.. لا تذكر ذلك يا أبي.

الأب: أليس ذلك حقيقة؟

سالم: (يصرخ): لا.. لا.. إنها مجرد لحظات للترفيه.

الأب: ترفيه في أوكار الأبالسة.

سالم: إنهم بشر مثلنا يا أبي يمرحون ويسعدون.

الأب: أبالسة في شكل بشر.

(جرس الباب يدق بعنف.. نور المسرح يضاء من جديد.. وسالم نائم على المكتب.. تتلاشى صورة الأب.. جرس الباب يدق مرات أخرى بإلحاح سالم يحرك رأسه، ثم يرفعها بتثاقل.. يفتح عينيه ويدور بهما هنا وهناك.. يدق الجرس ثالثة..).

سالم: (وهو يبكي): أبي.. أبي.. أين أنت.. إنني رأيته وكلمته.. أين هو؟

(جرس الباب يدق).

سالم: من بالباب؟؟

صوت من الخارج: افتح.. أنا إيتان..

سالم: ادخل أيها الملعون.. الباب مفتوح.. أنا لا أغلق بابي.

(يدخل إيتان شاب أشقر في مقتبل العمر أصفر

الشعر يرتدي زي الجينز ووجهه ينطلق سعادة).

إيتان: عمت صباحاً يا سالم.

سالم: السلام على من اتبع الهدى.

إيتان: كيف تترك الباب مفتوحاً؟؟ ألا تخاف من لصوص المدينة.. إنهم منتشرون في كل مكان.

(يجلس إيتان على مقربة من سالم المكتئب).

سالم: يا إلهي.

إيتان: ماذا بك؟

سالم: رأيت فيما يرى النائم أن أبي كان هنا، وأنه يعرف عني كل شيء.. أخذ يبكتني ويؤنبني.. إنها لحظات قاسية يا إيتان.. كأنه حقيقة..

إيتان: (ضاحكاً): لم تزل العقد النفسية الشرقية تسيطر عليك، هل يعقل أن يدخل أبوك أمريكا دون تأشيرة دخول؟

سالم: قلت لك حلم..

إيتان: حتى في الحلم لا يمكن أن يدخل دون إذن مسبق.

سالم: أنا لا أمزح يا إيتان.. إنني أشعر بإرهاقٍ وحزنٍ شديدين منذ أن رأيت هذه الرؤيا.

إيتان: ألم تقرأ كتاب العالِم النفسي الكبير (فرويد) عن الأحلام وتفسيرها.

سالم: ذلك الطبيب اليهودي المعتوه.

إيتان: لا تتكلم هكذا عن أحد قمم الفكر والفلسفة والطب في العالم.. البعض يكرهه لأنه عَرّى نفوسَهم من الداخل.. وكشف عن حيوانية الإنسان وجشعِه وجنونه وغرائزِه.. يجب أن تتخلص يا سالم من عقدك النفسية القديمة.

سالم: إننا نؤمنُ بالرؤيا الصادقة.

إيتان: ليس لدى فرويد شيء من ذلك.. إن ما رأيته مجرد كابوس، ناتج عن مخاوف

وساوس وهواجس ترسبت في أعماقِك منذ الصغر.

سالم: لقد كان أبي ـ في الرؤيا ـ أقدر من ألف فرويد في تعرية ذاتي والكشف عن انحرافاتي.. كيف عرف عني كل ذلك؟

(يقف إيتان ويقترب من سالم، ثم يربت على كتفه ورأسه).

إيتان: هوِّنْ عليك يا صديقي العزيز.. إن أباك لم يقل لك شيئاً.. وليس لأبيك وجود هنا، لكن ما رأيته في منامك ما هو إلا صدى لما في نفسك إنها هواجسك أنت، وليس لأبيك دخل فيها.

سالم: هواجسي أنا؟

إيتان: بالتأكيد.. أنت سالم.. وأنت عبد الستار أبوك.. وأنت اليأس والرجاء.. والشجاعة والجبن، وأنت الحرية والقيود.. كل هذا أنت.

سالم: معقول؟

إيتان: بالتأكيد.

سالم: وما المخرج؟؟

إيتان: أن تخرج من عباءتك القديمة.. أن تحاول نسيان الماضي.. يجب أن تقدم على حياتك الجديدة دون أدنى خوف أو شك.

سالم: أخاف أن أفشل وأنا الناجح دائماً.

إيتان: الناس يفشلون وينجحون.. عندما تجوع تأكل حتى تزهد في الطعام.. بل وتكرهه في بعض الأوقات..

سالم: هذه فلسفة غريبة يا إيتان.

إيتان: الإنسان ليس كالحمار الذي يحمل الأثقال طول حياته.. ولكنه بشر يجب أن يستمتع بحياته.

سالم: ويشارك في البناء.

إيتان: نعم ويشارك في البناء.

سالم: لكن حياتي حسبما ترى هدم.. هدم.. هدم.

إيتان: فترة مؤقتة.

سالم: أخاف أن يفلت الزمام وتضيعَ الفرصة.

إيتان: نيل الشهادات هنا في أمريكا ليس كل شيء.

سالم: لكنه في بلادنا كل شيء، ومن يرجع بدون الشهادة، يكون مثله كمثل العذراء التي فقدت شرفها وكبرياءها، ويعيش ذليلاً طول حياته.

إيتان: هذا ميراث التخلف والجهل.

سالم: لا يمكنني أن أقتنع بما تقول.

إيتان: إنها كالولادة المتعسرة.. تلك هي حالتك، إن أكبر المليارديرات عندنا ليس لديهم مؤهلات تذكر.

سالم: لم آتِ لأكون ملياردیراً، بل لأكون عالماً.

إيتان: نحن نقيس النجاح بالمال.

سالم: والأخلاق؟

إيتان: نحن لا نخلط بين العلم والمال والأخلاق، لكل شيء مسارهُ.

(سالم يقف مرهقاً محزوناً ويصرخ وهو يمسك برأسه).

سالم: رأسي يكاد ينفجر.. إنني قد أصاب بالجنون يا إيتان.. كفى كلاماً يا إيتان.. إنني تعب.. تعب جداً..

(إيتان يخرج ورقة بها بعض أقراص - يسرع ثم يحضر كوباً من الماء، ويقدم القرص والماء لسالم).

إيتان: - خذ هذه - اشرب.. لا بد أن تستريح.. لا أستطيع أن أتركك هكذا حتى تموت.

سالم: أنجدني قبل أن أنهار.. أنجدني يا إيتان.

(يبتلع سالم القرص، ثم يتبعه بجرعات من الماء ويسترخي على الأريكة ويتنهد، ثم يقول):

سالم: أنت دائي ودوائي يا إيتان.. من أي

بلاد الله جئت.. ومن الذي وضعك في طريقي؟؟

إيتان: الصدفة.. مجرد الصدفة.

سالم: (ناظراً إليه في شك): في هذه البلاد ليس هناك شيء بالصدفة حسبما أرى.. كل الأمور مرسومة بدقة وعناية.

إيتان: لا تشغل بالك.. خفف عن نفسك ولا تثقل عليها بالهموم.. كفاك ما جرى.. عندي فكرة.

سالم: ما هي؟؟

إيتان: لماذا لا نرقص قليلاً حتى ننشط وننسى

(يشب إيتان صوب الكاسيت ويدير شريطاً.. رقصة لجاكسون أو موسيقى الجاز، أو غيرها من الأشرطة التي تتميز بدقات الطبول)

(تبدأ الأنغام تنساب، ويبدأ إيتان في الرقص برشاقة.. ويسحب سالم من يده فينهض ويهز رأسه بكسل في البداية ويبدأ في الرقص على الطريقة

الغربية.. يتطوح سالم كالطائر الذبيح، بينما يرقص إيتان بطريقة فنية مدروسة، تنبي عن خبرة وباع طويل.. أثناء الرقص يميل إيتان على سالم ويقول):

إيتان: أين الدولارات؟ نريد أن نشتري الطعام والذي منه.

(يستمران في الرقص حتى عندما يذهب سالم لإحضار النقود من درج المكتب).

إيتان: هامبرجر وفواكه ونبيذ.. أليس كذلك؟

سالم: لا بأس.. أسرع فإني جائع.. لكن انتظر.

إيتان: ماذا تريد؟

سالم: أخشى أن يأتي صديقُنا عبدُ الرحمن فيرى النبيذَ فتكونَ الطامة الكبرى إنه لا يجالس ولا يؤاكل شاربي الخمر.

إيتان: ألم يزل متخلفاً كالعهد به؟

سالم: إنه لا يتسامح في أمر كهذا.

إيتان: لا تخف إن عبد الرحمن لن يأتيَ قبلَ ثلاث ساعات على الأقل، أنا أعرفُ مواعيدَه

(ما زالا يرقصان وهما يتحدثان والموسيقى تدق)

سالم (يغني): ندورُ في السواقي
وتذرفُ المآقي
يا صاحبَ البراق
قد ضِعت في الوجودْ

القلبُ في ظلام
والعيشُ كالأحلام
يا واهبَ السلام
تؤودني القيودْ

صراعُنا هباء
طموحُنا هراء
يلهو بنا الشقاءُ
والقهرُ لا يبيدْ

(يدق جرس الباب فجأة يتوقف سالم عن الغناء لكنه يظل يرقص هو وإيتان ولكن في فتور).

إيتان: (يصرخ): الباب مفتوح.

(يدخل عبد الرحمن دون توقع ويقول):

عبد الرحمن: دائماً الباب مفتوح حتى تدخل منه الأبالسة.

إيتان: لم هذه اللهجة العدوانية يا عبد الرحمن؟ نحن أصدقاء.

عبد الرحمن: (في حِدّة): لست صديقي.

إيتان: (في تَزَلُّفٍ): هذا حقك لن أفرض عليك صداقتي.. إننا هنا نؤمن بالحرية الشخصية إلى أبعد مدى، أليس كذلك يا سالم؟

عبد الرحمن: (في غضب): دعْ سالم وشأنه.

سالم: لا تغضبْ يا عبدَ الرحمن.

إيتان: أنا لا أتدخل في شؤون أحد، ومع ذلك إذا أردتما أن أخرج فليس لدي مانع..

إنني آخذ الأمور ببساطة جداً.

عبد الرحمن: (ساخراً) وبروح رياضية.. (ثم في لهجة عنيفة) إنك قادر على أن تفسد عالماً بأسره.

إيتان: هذا حقك، ما دام ذلك رأيك فيّ، نحن نحترم أفكار الآخرين دون غضب أو توتر.

عبد الرحمن: هذا برود عجيب، إذا لم تخرج فسأضربك ضرباً مُبَرّحاً.

سالم: ما الذي جرى يا عبد الرحمن؟ لا يصح أن تعامل ضيفي بهذا الأسلوب البربري.. هل نسيت أنه صديقي؟

عبد الرحمن: الصداقة حقوق وواجبات.

سالم: والرجل لم يخطىء، إنه يتصرف كرجل مهذب جنتلمان.

(يُلقي عبد الرحمن بأوراقه وكتبه على المكتب، ثم يسحب مقعداً قريباً ويجلس عليه ويضع رجلاً على رجل ويقول):

عبد الرحمن: أنتما لا تعرفان الكارثة التي حلت اليوم.

سالم: أية كارثة؟

عبد الرحمن: كارثتك أنت يا سالم.

(يقطع عليهم الحديث رنين التليفون ـ يتجه عبد الرحمن صوبه ويرفع السماعة ـ).

عبد الرحمن: آلو.. من؟ ماذا تقولين؟ ريتا؟ مَن تكونين؟؟

(يقفز سالم إلى التليفون يتبعه إيتان ـ سالم يحاول أن يأخذ منه سماعة التليفون ـ).

سالم: إنها تطلبني.

عبد الرحمن: من تكون ريتا هذه؟

سالم: صديقة.

عبد الرحمن: (ساخراً): هل هي مَحْرَم؟

سالم: لا شأنَ لك.

عبد الرحمن: (في التليفون): اذهبي إلى الجحيم.

(سالم ينتزع منه التليفون وهو يقول):

سالم: يجب أن تتحدث بأسلوب متحضر، ثمَّ إن هذا لا يخصك.

عبد الرحمن: أنت لا تعرف الكارثة التي حلَّت بك.

سالم: ليكن أي شيء.

(يركز الحديث في التليفون)

هالو ريتا.. إيتان معي.. أجل سوف نأتي بعد ساعة.. لا تنصرفي.. لقد كنا في انتظار مكالمتك يا حبيبتي.

عبد الرحمن: (ينزع منه السماعة): أيُّها الفاسق كيف تبيح لنفسك لقاء ومخالطة النساء الغريبات؟

هل دينُك يسمح لك بذلك؟

إيتان: لم أر في حياتي تخلفاً ووقاحة كالذي أسمعه الآن.. تصرف غريب.

عبد الرحمن: (ينطلق ناحية إيتان ويمسك بتلابيبه):

قل من أنت؟

وماذا تريد؟

أنت دسيسة رخيصة.. مأجور.. تريد أن تحطم إرادة شبابنا.

إيتان: (وهو يخلص نفسه): هل الصداقة جريمة في عرفك؟

ثم إنني صديق سالم، ولا شأن لك بي.. لماذا تتسلط عليه هكذا كالدكتاتور الطاغية.. نحن هنا أحراراً في بلادِنا.

عبد الرحمن: (يكز على أسنانه): حرية الفسوق والضلال.

إيتان: نحن لا نجزىء الحرية.. إنها عندنا كيان واحد.. كلٌ لا يتجزأ، أحرار في كل شيء، هكذا نحن.

عبد الرحمن: (يسدد إليه نظرات فاحصة): من تكون يا إيتان؟

إيتان: أمريكي.

عبد الرحمن: أمريكي؟؟

عبد الرحمن: دينُك؟

إيتان: في أمريكا لا يُسألُ أحدٌ عن دينه، التعصب الديني عندنا جريمة.

عبد الرحمن: أنت صهيوني.. هذا واضح من اسمك.. أتنكر ذلك يا إيتان؟

إيتان: تريد أن تقول إني إسرائيلي.. حسناً.. ظن كيف شئت لكنني أمريكي وأبي أمريكي وأمي أمريكية.

عبد الرحمن: لكنك مهاجر.

إيتان: وما دليلك؟

عبد الرحمن: إحساسي.. ثُمّ إن تصرفاتِك تُوحي بأنك قوّاد.. سفيه.. حقير.. لا ترحم.

سالم: (يصيحُ في غضب): كفى.. كفى.. كفى يا عبدَ الرحمن إذا لم تتوقف، فسأترك لك المسكن وأبحث عن مسكن مستقل لا يضايقني فيه أحد.. أريد أن أعيش حياتي بكامل حريتي.

(يتمشى عبد الرحمن على المسرح برهة، ثم يقف ويتجه نحو الجمهور فارداً ذراعيه ويقول):

عبد الرحمن: يا خسارة.. لقد حان الفراق يا صديقي العزيز.. يا رفيق الصبا والشباب لم أستطع أن أخبرَك بالحقيقةِ المُرّةِ يا سالم كنت أحاول أن أبحث لك عن حلّ.

سالم: (مرتبكاً) إنني لا أفهمُ ما تقول.. كلامك يبدو كالألغاز والطلاسم.

عبد الرحمن: (رافعاً وجهه إلى السماء):

إذا كنتَ في نعمةٍ فَارْعَهَا
فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

سالم: (متجهاً إلى إيتان): ماذا تقول؟

إيتان: عبد الرحمن يتكلم بلغةٍ لا أفهمها.. إننا لم نتفق في الرأي في يوم من الأيام.

عبد الرحمن: (يتجه إلى التليفون): ريتا.. أما زلت على الخط؟ قلتُ لكِ اذهبي.. إنك لن تري سالم مرة أخرى.. انتهى الأمر.

(يغلق عبد الرحمن التليفون في قسوة).

(متجهاً إلى سالم):

عبد الرحمن: لقد حانت لحظة المصارحة الحاسمة يا سالم.. لقد صدر قرارٌ بفصلك من الجامعة وإلغاءِ تسجيلك، لأنك لم تحقق الحد الأدنى من الدرجات، ولأن نسبة الغياب فاقت المعدل المسموح به كثيراً.

سالم: (صارخاً): غيرُ معقول.. إنني لا أصدق ما تقول.. لا بُدَّ وأن أمامي فرصة أخرى.

عبد الرحمن: (مواصلاً الحديث في حزنٍ بليغ): والجامعة أبلغت سفارتَنا بذلك يا سالم.

سالم: وما معنى ذلك؟

عبد الرحمن: للأسف ليس له سوى معنى واحد هو قطع المصروف عنك، وترحيلك إلى بلدك على أوّلِ طائرة.

إيتان: (يتدخل بينهما ويقول ساخراً): ليست هنالك مشكلة بلا حَلّ.. تستطيع يا سالم أن تبحث عن عمل يسدُّ نفقاتِك، ثم تعيد التسجيل مرةً أخرى في جامعة ثانية.. ثم.

(يهجم عليه ويمسكه بقوة، ثم يدفعه صَوْبَ الباب، ويدفع به إلى الخارج ويقول):

عبد الرحمن: اذهب إلى الجحيم يا إيتان الملعون.. أنت أُسُّ الفساد والنكبة.

(ثم يغلق الباب ويعود إلى سالم وقد ارتمى على الأرض خائرَ القُوَى باكياً):

سالم أليس هناك حلٌ يا عبد الرحمن؟؟ أنجدني أيُّها الأخ العزيز.. أرجوك (ويمسك بيديه متوسلا) أرجوك.. لن أستطيع أن أعود إلى بلدي على هذه الصورة المخزية المؤلمة.

عبد الرحمن: لطالما حذَّرتك.. ونصحتُك..

سالم: نحن في مأزق الآن، فلنبحث عن حلّ..

إذا لم يكن هناك حلٌ عاجلٌ، فإنَّ حياتي تصبح لا معنى لها.

عبد الرحمن: إنه لأمر مُحيِّر.

سالم: لقد سدت الأبواب في وجهي.. أتدري ما معنى ذلك.

عبد الرحمن: لا أدري.

سالم: (في ذهول) لا سبيل أمامي سوى الانتحار.

عبد الرحمن: ماذا؟؟

سالم: (مؤكداً) الانتحار.. هل سمعت؟ الانتحار.

عبد الرحمن: أستغفرُ الله العظيم.. إن بابَ الرحمة مفتوح.

سالم: كل الأبواب مغلقة.. كيف أعود إلى أبي خائباً خاسراً كسيراً.. ماذا سأقول له؟ أأقول: لقد ضيعت ثقتك وأملك فيّ يا أبي؟ لقد عدت إليك أحمل خيبتي

وهَواني على كاهلي؟ وكيف أقابل الناس؟؟ سوف ينظرون إليّ بين مواسٍ وشامت..

آه.. الأحلام الوردية التي حلمت بها يا عبد الرحمن أيام شبابي قد ذهبت أدراج الرياح.

عبد الرحمن: (يشاركه البكاء): أعرف أنها مأساة كبرى لكنك تعلم أنه قد كتب علينا أن ندفع ثمنَ أخطائنا.

سالم: (يهز رأسَه في أسى) أجل.. يجب أن أدفع الثمن.. الثمن.. حتى ولو كلفني حياتي..

كانت جدتي تقول دائماً «كله سَلَفٌ ودَيْنٌ حتى المشي على الرجلين».

عبد الرحمن: يجب أن نتدبر الأمر، ونفكر بعناية.

سالم: إنني محاصر.. شعور كئيب لا يشعر به إلا مَن كان في موقفي.. آه ذهب إيتان.. وذهبت ريتا.. وذهب رفاقُ

الرقص المجنون والموسيقى الصاخبة..
وبقيت وحدي.. وحدي أسامر أحزاني
القاتلة.. وحدي يا عبد الرحمن ليس في
الدنيا كلها من يستطيع أن يخفف عنّي
آلامي.. لم يعد للحياة معنى يا عبد
الرحمن لقد ضاقت بي أمريكا على
رَحابتها.. وجفاني وطني الذي أخطأتُ
في حقه

(يجري سالم، ويدق رأسه في الحائط ويضربه بقبضتيه ورجليه ويصرخ).

سالم: لا.. لا.. لن أعيش.. ولا أستحق أن
أعيش..

يا أهلَ الأرض جميعاً.. ارفعوا عني هذا
الكابوس الرهيب.

يا أهل الأرض جميعاً امنحوني فرصة
أخرى..

افتحوا لي باباً للعودة يا عبدَ الرحمن..
أين البابُ المفتوح؟

(سالم يتحسس طريقه كالأعمى).

سالم: يا عبدَ الرحمن.. الأبوابُ مغلقة.. افتح لي باباً يا صديقَ العمر.. أريد أن أخرج من هذا الظلام الدامس.. ساعدني يا صديق العمر ساعدني.

عبد الرحمن: (وهو يحيطه بذراعيه في عطف).

سأحاول..

سنحاول معاً..

سنقدمُ التماساً.

إذا أغلقت الأبواب كلُّها.. فإن بابَ الله مفتوح.. مفتوحٌ دائماً.. ولا يغلقه في وجه أحد..

(يتحامل سالم على نفسه، بمعاونة عبد الرحمن، ثم يرفع يديه إلى السماء ضارعاً).

سالم: إلهي.. نامت العيون وأغلقت الأبواب.. وبابك لم يزل مفتوحاً

للسائلين.. خذ بيدي يا رب.. يا رب.. يا رب.

ـ ستار ـ





الفصل الثاني

المشهد الأول

نفس المشهد السابق ـ سالم وعبد الرحمن ـ ومعهما صديق ثالث هو فكري مصطفى.

سالم: (يجلس شارداً) الحمدُ لله.. لقد تحققت المعجزة.

عبد الرحمن: أنا شخصياً لم أكن أتوقع هذه الانفراجة. من كان يصدق أن وزارة التربية والتعليم في بلدنا سوف توافق على منحك فرصة أخيرة، وأن الجامعةَ هنا ستوافق على ذلك؟

سالم: أعرفُ أن أبي والأصدقاء، قد بذلوا جهوداً خارقة لإنجاح هذا المسعى.

عبد الرحمن: المهم أن تكون مُدرِكاً يا سالم لواجباتك

الجديدة.. إنها الفرصة الأخيرة.

(سالم يضع يدَه على رأسه، ويتأوه في ألم شديد يتبدى واضحاً على ملامحِ وجههِ).

عبد الرحمن: ماذا بك؟

سالم: صداع رهيب.

عبد الرحمن: إنه يعاودك كثيراً.

سالم: لا بأس.. قرصٌ واحدٌ من الدواء يخلصني منه

(ينهض سالم، ويتفحص بعضَ الأدوية الموضوعة على أحدِ الأرفف.. يلتقط زجاجةً.. ويفتحها، ثم يحاول إفراغ ما فيها فلا يجد شيئاً).

سالم: مستحيل.. لقد فرغ الدواء، لم ألحظ ذلك من قبل ماذا أفعل يا إلهي؟ أكادُ أجَنُّ من شدةِ الألم..

فكري: (وهو يَلْبَسُ قميصاً ملوناً مشجراً، وسروالاً ضيقاً) حسناً.. أستطيع أن أشتري لك من الصيدلية ما اسم الدواء؟

سالم: لا أعرف له اسماً.

فكري: من بديهيات الأمور ألا تتعاطى دواء دون أن تعرفَ اسمَه ألم يكتبه لك الطبيب؟

لنذهب إليه.

سالم: (وهو يلتفت في حرج): لقد أحضره لي الملعون إيتان ذاتَ مرةٍ، فوجدتُه مفيداً كان يَمُدُّني به في وقت الحاجة، لم أسأل قط عن اسم الدواء قال لي إنه مُسَكِّنٌ ممتاز.

عبد الرحمن: لا حلَّ سوى أن نذهب إلى الطبيب.. أيّ طبيب هيا استعد.

سالم: (وهو يتلوى) لا أستطيع.. لا أستطيع.. إنَّ أحشائي هي الأخرى تتمزق.. آلام مُرعِبة في بطني أنفاسي متحشرجة.. أكاد أختنق.. أشعر بدوار.. أنجداني يا صديقيّ العزيزين..

فكري: فلنستدع طبيباً.

عبد الرحمن: هذا يكلفنا مبلغاً كبيراً من المال، التطبيب

والعلاج في أمريكا باهظ الثمن..

سالم: (يزحف على ركبتيه صَوْبَ عبد الرحمن): بالله عليك إن دوائي لا يعرفه إلا إيتان.

عبد الرحمن: (في ثورة): إيتان مرة أخرى؟

لقد أخرجناه من حياتنا إلى الأبد.. أتفهم؟

سالم: (في ضراعة محزنة): الضرورات تبيح المحظورات يا عبد الرحمن.. ألا تعتقد ذلك؟

فكري: إنني لا أثق في هذا المدعو إيتان.. إنه صهيوني وإن كان أصله يهودي إسباني.

سالم: لا يهمُّني أصلُه وفصلُه.. إنني أريد أن أشعر بالراحة.. بأيّ ثمن.. هل تفهمون؟ أكاد ألفظُ أنفاسي.

(يجري سالم في جنون صوبَ التليفون.. يدير القرص بعد لحظات يقول):

سالم: إيتان أيها الصديق العزيز.. أحضر لي الدواء على الفور.. إنني أموت.. لا تشغل بالك يا إيتان.. إن عبد الرحمن لم يقصد الإساءة إليك أو إلى ريتا.. كان في ثورة غضب.. هذا كل ما في الأمر.. أرجوك لا.. لا.. سأدفع لك.. وسأعتذر لريتا لا تساومني يا إيتان.. اختصر في الحديث وأحضر الدواء بسرعة.. وبعدها.. سيكون.. كل شيء على ما يرام.. ألا تسمع لهاثي.. آه.. آه.. الرحمة يا إيتان العزيز.. أقبلْ بسرعة.. أرجوك أرجوك أتوسل إليك..

(يُلقي سالم بالسماعة فوق التليفون، ثم يرتمي على الأرض، ويتقلبُ على جنبيه وظهره.. ويتكور واضعاً ركبتيه في بطنه.. ثم يفرد طوله.. ويقف ويجري في أنحاء الغرفة كالمجنون.. ويصرخ ويستغيث..)

(عبد الرحمن يجري في اضطراب، ويحضر كيساً

من الدواء، ويستخرج منه قرصين، ثم يقبل ناحية سالم).

عبد الرحمن: هـذا قـرص لـلـصـداع، وهـذا آخـر للمغص... خذهما على الفور..
أحضر الماء يا فكري.

(يهرول فكري، ويحضر كوباً من الماء، سالم يبتلع القرصين دفعة واحدة، لكنه يظل يعاني ويتألم وصديقاه يرقبان الموقف في أسى وخوف).

فكري: (يميل علي عبد الرحمن): يبدو أن الأمر خطير يا عبد الرحمن.

عبد الرحمن: أتعتقد أن به مرضاً خطيراً؟

فكري: إنني أشكُّ في أمر آخر.

عبد الرحمن: ما هو تكلم؟.. إنك تزيدُني قلقاً.

فكري: (وهو ينظر لسالم المُلْقَى على الأرض):
أرجو أن أكون مخطئاً، هذه حسبَ ظني أعراضُ إدمان..

عبد الرحمن: إدمان؟؟ ماذا تقول؟

فكري: هذا لا يحدث إلا فيمن يتعاطون المخدرات، ثم يتوقفون عنها يسمونها الأعراض الانسحابية.. شاهدت برنامجاً في التليفزيون عن ذلك منذ فترة قصيرة..

عبد الرحمن: مخدرات؟ مستحيل.. إن سالم لا يتعاطاها.

فكري: وكيف تعرف؟؟ إنك لست معه طول اليوم..

عبد الرحمن: أنا متأكد أنه لا يتعاطى إلا الأدوية..

فكري: هناك مئات بل آلاف الأدوية المخدِّرة..

عبد الرحمن: لكنها لا تباع في الصيدليات إلا بوصفة طبية معتمدة.

فكري: في أمريكا كل شيء ممكن.. ومصانع الأدوية المخدِّرة السرية ليست في أمريكا وحدها بل في كل أنحاء العالم..

عبد الرحمن: (ضارباً كفاً بكف): وهذه كارثةٌ أخرى إن

صح ما تتوقعه يا فكري، الطريق هنا مليء بالمخاطر والأشواك.

فكري: في أمريكا يجب أن تمشي وعيناك في وسط رأسك، اللصوص تجار المخدرات.. المومسات.. أندية الإباحية للرجال والنساء.. النّصب والاحتيال.. إنها ليست مجرد انحرافات أخلاقية.

عبد الرحمن: فماذا تكون إذن؟؟

فكري: فلسفة...

عبد الرحمن: أية فلسفة..

فكري: فلسفة الخواء الروحي.. فلسفة المادية المسيطرة.. فلسفة القوة والعدوان والاغتصاب هنا كل شيء مباح.

(جرس الباب يدق).

سالم: (يرفع رأسه في تشوف): جاء الفرج.. الحمد لله.

(يفتح عبد الرحمن الباب، يدخل إيتان وعلى وجهه ابتسامة ماكرة لا يخفى معناها عن الحاضرين).

إيتان: لقد جئت بناء على طلبكم.. كان يُمكنني أن أرفض المجيء لأنك طردتني بطريقة مهينة يا سيد عبد الرحمن.. لكن كيف أتخلى عن صديقي العزيز سالم في هذه اللحظات الحَرِجة؟

عبد الرحمن: (في غضب) لا تكثر من الكلام.. أين الدواء؟

إيتان: (في مكر): أنا لستُ طبيباً.. سوف آخذه وأعرضه على الطبيب.. إن سيارتي بالخارج..

سالم: (في ضراعة): هاتِ الدواء يا إيتان.. أنا واثقٌ أنه معك..

إيتان: (يرفع يديه مستسلماً): تعالوا.. فتشوا ملابسي ليس معي شيء على الإطلاق..

سالم: (صارخاً): ولماذا أتيت إذن؟

إيتان: لآخذَك إلى الطبيب.

سالم: لم تكن تفعْل ذلك من قبل يا إيتان.

إيتان: لا أستطيع أن أتحمل المسؤولية في هذه الحالة.. إن وضعك سيء هيا بنا..

سالم: لا أستطيع يا إيتان.. أستحلِفُك بالله.. بحق صداقتنا.. أنقذني أولاً.. ثم نذهب للطبيب.. أنا أعرف أنني لن أستريح إلا إذا أخذت دواءك.. وأنت تعرف أيضاً..

(ثم يلتفت سالم إلى عبد الرحمن وفكري ويقول لهما في توسل واسترحام).

سالم: يا عبد الرحمن.. يا فكري.. أُخرُجا.. أرجو أن أكونَ وحدي مع إيتان حتى أتفاهمَ معه..

(يخرج عبد الرحمن وفكري من باب جانبي، ويأخذ عبد الرحمن التليفون).

سالم: (راكعاً على ركبتيه): أرجوك يا إيتان.. الدواء.

(يتلفت إيتان يَمنةً ويَسرة، ثم يخلع حذاءه، ويضع يده داخله، ويخرج لفافة يفتحها، ثم يقدِّمُها إلى سالم).

إيتان: هذه أقراص ثلاثة. . أين الثمن؟؟

(يجري سالم كالمجنون ويحضر النقود).

إيتان: لا تدعهما يريان شيئاً، وإلا فلن أحضر لك الدواء مرة أخرى.

سالم: وهذا هو الثمن.

(يبتلع سالم قرصاً دون ماء، ثم يهم بابتلاع الثاني لكن إيتان يمنعه).

إيتان: لو أخذت قرصاً ثانياً، فستسقط في غيبوبة. . جرعة القرص الواحد تكفي جداً. .

سالم: أشكرك. . أشكرك يا صديقي العزيز.

إيتان: الصديق لا يعرف إلا في وقت الشدة، وأنا لم أُسِيءْ إليك قط يا سالم كنت دائماً أخفف عنك آلامَك وأحزانك

وأتّخِذ كافةَ الوسائل لإسعادِك.. أنا لست شريراً.

سالم: أعرف أعرف.. أعرف..

إيتان: من الضروري أن تتحرر من قبضة عبد الرحمن، ونحن نضمن لك النجاح الذي حرمت منه.

سالم: يجب أن أتصرفَ بحكمة وأستدرك ما فات حتى لا أضيع.

(جرس الباب يدق).

(يأتي عبد الرحمن من الداخل مهرولاً ليفتحَ الباب).

عبد الرحمن: تفضل يا دكتور.

(ثم يلتفت إلى إيتان وسالم قائلاً).

عبد الرحمن: نسيت أن أخبركما بأني استدعيت طبيبَ طوارىء على عجل.

(إيتان يرتبك).

سالم: لقد استرحتُ بعدَ أن أخذتُ الدواء.

الطبيب: أين الدواء؟

سالم: ها هو..

(يمسك الطبيب القرصين في يده ويتفحصهما).

(إيتان يرتبك أكثر، ويأتي بحركات عشوائية).

إيتان: معذرةً.. لا بد أن أرحلَ الآن، إني مرتبط بمواعيد.

عبد الرحمن: (في حزم) انتظر يا إيتان لنسمعْ رأيَ الطبيبِ في الدواء.. إنك منذ لحظات أردت أن تأخذَ سالم إلى الطبيب.. وها هو قد جاءْ.

الطبيب: من أين أتيتما بهذه الأقراص؟

عبد الرحمن: من إيتان.

إيتان: أنا لم أُحضرْ شيئاً.. وسأنصرف..

عبد الرحمن: مكانَك يا إيتان.. لا تتحركْ حتى نرى.

(الطبيب وهو يخرج بعض المحاليل، ثم يُجري تجربة مبسطة على قرص من الدواء، ويَرُجُّ أنبوبة

الاختبار ثم يعيد النظر ويقول):

الطبيب: هذه أقراص مخدِّرة.. إنها من مشتقات المورفين أو الأفيون.

(إيتان يجري وهو يقول):

إيتان: لم أحضرْ شيئاً.. ولم يَرَني أحدٌ.

(عبد الرحمن: يلحقُ بإيتان ويُمسكُ بكمه.. وإيتان يخلع قميصَه، ويتركه في يد عبد الرحمن ويهرب عارياً إلا من سرواله..).

عبد الرحمن: أرأيت يا سالم.. لقد خدعك الملعون وجعلك من جملة المدمنين ماذا نفعل الآن يا دكتور؟

الطبيب: لا حل سوى أن يدخل مصحة لمعالجة الإدمان، والواقع أن هذا قد يكلفكم مبلغاً كبيراً من المال.

عبد الرحمن: ماذا نفعل يا إلهي؟

إننا نخلص من مشكلة لنقعَ في مشكلةٍ أخرى.

سالم: (ضارعاً).

افعلوا المستحيل.. عالجوني.

اجمعوا لي تبرعات من الطلبة العرب، والمسلمين أريد أن أُشفَى..

سامحني يا عبد الرحمن..

لقد خدعني الملعوُن إيتان.

عبد الرحمن: هل تستطيع أن تقدَم له العلاجَ في المسكن يا طبيب؟

الطبيب: يصعب ذلك.

سالم: (يجلس على الأرض، يضربها بقبضته وهو يصرخ).

ويحي.. ويحي..

لقد أحاطتْ بيَ المصائبُ من كل جانب..

إنني ضحيةُ مؤامرة خبيثة..

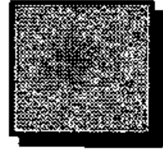
لكن لماذا سقطت أنا في شباكِهم.

ولم تسقط أنت يا عبدَ الرحمن؟؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟؟

ـ ستار ـ





المشهد الثاني

(نفس المشهد السابق ـ المسرح في البداية خال من الأشخاص ـ بعد لحظات ـ يدخل عبد الرحمن وفكري وبينهما سالم مستنداً عليهما).

عبد الرحمن: لم تزل واهن القوى يا سالم، ومع ذلك فنحن نحمد الله كثيراً على أنك شفيت من الإدمان في المصحة.

سالم: (في ضعف):

كانت أياماً عصيبة لم أكن أتصور أن أَستغنيَ عن ذلك المخدِر اللعين..

فكري: لا تنسى إننا دفعنا مبلغاً كبيراً من المال.

سالم: إنه دين في عنقي، يكفي أنكما وقفتما إلى جواري في ليالي المحنة القاسية..

عبد الرحمن: نحن إخوة.. لا تُشغِل بالَك بالمال.. نحن نعتبرك وُلدتَ من جديد.

فكري: أرجو أن تكونَ هذه نهاية ألاعيب إيتان وريتا ومؤامراتهما.

سالم: كانا يستنزفان مالي.

عبد الرحمن: المال يروح ويجيء.

فكري: أمثال هؤلاء المجرمين يفلتون دائماً، ثم يبدأون في نسج مؤامرة جديدة يكون ضحيتُها إنساناً ضعيفَ الإرادة..

(يدق جرس الهاتف يرفع سالم السماعة ويرد في غضب).

سالم: من؟ ريتا؟

بل قادر تماماً الآن على أن أستغني عنك وعن إيتان وعن مجموعتكم كلها.. لماذا تسألين؟ لماذا؟

لأنكم منحطون سفلة.. لو استطعت أن أسفك دمكم لفعلت ماذا؟ متوحش؟..

ليكن.. لكن الوحوش الضارية أنتم..
والخسة والنذالة أنتم..

(يتقدم منه عبد الرحمن، ويحاول أن ينتزع منه سماعة التليفون لكن سالم يتشبث بها ويقول في رعب).

سالم: هذه المجنونة تهددني بالقتل في وقت قريب.. هنا في أمريكا يفعلون كل شيء.

عبد الرحمن: لا تعبأ بهذه التهديدات الجوفاء (ثم يغلق عبد الرحمن التليفون).

سالم: (بعد فترة صمت): لقد كرهت هذه البلاد.

عبد الرحمن: لا حب ولا كره.. لقد جئنا لأداء رسالة.. ولسوف نرحل بعد أن ننتهي منها على خير.. ألم أقل لك أن أمريكا كالقمر.. وجه مضيء ووجه مظلم.. دعنا نكتحل بالنور، ونبتعد عن الظلام..

فكري: هكذا الدنيا منذ خلقها الله.. ونحن في

امتحان دائم.. وكلنا معرضون للخطأ والخطيئة.. إلا من عصم ربك..

(يجلس سالم على مكتبه، ثم يتناول كتاباً).

سالم: آن أن أبدأ العمل الجاد.

فكري: يجب ألا تثقل على نفسك إلى أن تصل إلى لياقتك الصحية الكاملة.

سالم: الاندماج في العمل سوف يساعدني على التخلص من أحزان الماضي ومنغصاته.

(يرفع سالم وجهه إلى صديقيه ويقول):

سالم: إنني أشعر بخوف غامض لا أعلم سببه.

فكري: هذا شيء طبيعي، ناتج عما عانيته من مشاكل ومتاعب.. ثم إن آثار المخدر تترك في النفس شيئاً من الكآبة وليس الخوف يا سالم..

سالم: (في إصرار): بل الخوف.. إنني أشعر به في داخلي.. وأكاد أتمثله أمراً واقعاً.. صدقاني.. إن دقات قلبي

تسارع ثم تهدأ..

فكري: قد تكون في حاجة إلى بعض العلاج النفسي.. ومن المفيد أن تستشير طبيباً مختصاً.

عبد الرحمن: أرى أن تعود إلى كتاب الله، وتقرأ فيه بضع صفحات بتمعن كل يوم.. والرسول (ﷺ) يقول ما معناه: تداووا بالشفاءين العسل والقرآن.

سالم: إني على استعداد لأن أفعل ما تريانه

(يدق جرس الباب تتجه الأبصار صوب مصدر الرنين ـ يدخل طبيب الطوارىء ويلقي التحية إلى سالم).

الطبيب: كيف حال مريضنا؟

سالم: (مرتبكاً): بخير والحمد لله.

الطبيب: جئت لأطمئنَّ عليك.

سالم: (متصنعاً الضحك): زيارات الأطباء هنا لا بدَّ أن تكون مدفوعةَ الثمن سلفاً.

الطبيب: وأنا أخذتُ حقي مسبقاً (ثم يضحك) ولا بأس أن نأخذَ أجراً إضافياً إذا كان هناك ما يستوجب ذلك..

فكري: (يشاركه في الضحك): إنك تمثل الفلسفة الأمريكية بدقة.

الطبيب: كلُّ إنسان هنا انعكاس لفلسفتنا (ثم يميل على عبد الرحمن قائلاً): أريدك على انفراد.

عبد الرحمن: هيا دعانا وحدنا.

(يخرج فكري من الباب الجانبي، لكن سالم يتلكأ مرتبكاً.. ويقول):

سالم: أهو شيء يخصني؟

الطبيب: نحن جميعاً في خدمتك، ونسعى لصالحك.

سالم: (راكعاً): أخبرني يا طبيب.. ماذا وراءك؟

عبد الرحمن: دعنا يا سالم.

الطبيب: بعض التعليمات الضرورية.

سالم: ولماذا لا أجلس معكما وأتدارسها..

الطبيب: لا بأس.. لكن أُفَضِّلُ في البداية أن نكونَ وحدنا.

عبد الرحمن: (في رجاء): أُخرج يا سالم..

(يخرج سالم، لكنه يقف خلف الباب ويتنصت).

عبد الرحمن: ها نحن وحدنا..

الطبيب: لستِ أدري كيف أبدأ، لكن ليس من المصلحة أن أتستر على شيء كهذا.. وأنا طبيب وواجبي أن أوضح الأمور.

عبد الرحمن: أدخل في الموضوع مباشرة.

الطبيب: (متنهداً في ألم): لقد التقط سالم عدوى خطرة.. سوف تبقى لسنين.

عبد الرحمن: (في خوف): أليس لها علاج؟

الطبيب: حتى الآن لا يوجد.

قد تكون انتقلت عن طريق حقن المُخدِّر

الملوثة، أو عن طريق الممارسات الجنسية.

عبد الرحمن: (واقفاً) مستحيل أن يقع سالم في مستنقع الفحشاء.

الطبيب: (في هدوء): الذين يتعاطون المسكرات أو المخدرات لا يدرون ما يفعلون.. إذا ذهب العقل، وانطلقت الغريزة فإن كلَّ شيء جائز.

عبد الرحمن: (وقد بدا على وجهه الحزن والمرارة) أي مرض هذا؟

الطبيب: ألم تعرفه بعد.. إنه الإيدز.

عبد الرحمن: ماذا؟

الطبيب: الإيدز.. الإيدز.. مرضُ نقص المناعة المكتسبة.. طاعونُ العمر

(يصرخ سالم صرخة مدوية)

سالم: لا... لا... لا..

(ثم يسقط مغشياً عليه إلى جوار الباب الجانبي ـ

ينهض الجميع ـ فكري والطبيب وعبد الرحمن ثم يحملونه إلى أريكة المجلس في الصدارة. .).

عبد الرحمن: أسْعِفْه يا دكتور. . يبدو أنه قد سمع كلَّ شيء. . إنها كارثة الكوارث

(الطبيب يفتح حقيبته، ويخرج بعض الأدوات والأدوية، ويجهز المحقن، ثم يحقن سالم. . وبعد لحظات يتململ سالم ويموء).

سالم: أريد أن أموت. . دعوني. . لم يبقَ لي أمل في الحياة. . دعوني. . خلصوني من عذابي.

الطبيب: سأضطر لإعطائه منوِّماً قوياً حتى ترتخيَ أعصابُه ويهدأ. .

(يحقنه الطبيب مرة أخرى فيسترخي).

عبد الرحمن: (في أسى بليغ): ما كان يجب أن يحدثَ ذلك.

فكري: لكنه حدث.

الطبيب: كثيرون مثله في أمريكا وفي كل أنحاء العالم.

عبد الرحمن: إنه عقاب إلهي شديد.

فكري: (في يأس) الناس يموتون واقفين.. أو ماشين أو نائمين.. يموتون وهم يأكلون ويضحكون.

عبد الرحمن: أجل.. الموتُ هو الشيء الوحيد الذي لا حيلةَ لأحد فيه.

الطبيب: إنكم تقيمون مأتماً قبل الأوان.. إنه حامل لفيروس المرض فحسب، ولم يظهر المرض بعد.. قد يظهر المرض بعد ثلاثة أعوام.. خمسة.. عشرة.. عشرين عاماً.. وقد لا يظهر قبل مرور ثلاثين عاماً.

عبد الرحمن: إنه عارٌ يا طبيب.

الطبيب: إنه مرضٌ لا أكثر.. البعض يصاب به بعد نقل دم ملوث إليهم أثناء عملية جراحية (يجمع الطبيب حاجاته ويضعها

في الحقيبة ويستطرد) ومَنْ يدري؟ قد يظهر له علاج خلال السنوات القادمة.. إن الأطباء والعلماء يجدّون في البحث عن علاج ولقاح لهذا المرض.. لا يصح أن نيأس.

عبد الرحمن: يقول سيدنا رسول الله (ﷺ): ما أنزلَ الله داءً إلا وأنزلَ له دواءً..

فكري: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبد الرحمن: والحل يا دكتور؟ أيسافر إلى بلده أم يستمر في الدراسة؟

الدكتور: لا أستطيع أن أقول له اذهب إلى بلدك وانتظر الموت.. هذا مستحيل وأنا قلت إنه حامل للفيروس ليس إلا، ولم تظهر أعراض المرض.. ولا أحد يدري متى تظهر..

(يتقاضى الطبيب أجره، ويقول):

هذه نتيجة التحليل.. احتفظوا بها..

(ينصرف الطبيب.. يجلس فكري وعبد الرحمن

إلى جوار سالم صامتين بعض الوقت وعلى وجهيهما الكآبة.. بعد فترة يتحرك سالم.. ثم يفتح عينيه ويجلس).

سالم: يبدو أنني نمت طويلاً.. كان نومي مليئاً بالكوابيس.. أصبحت الحياة سقيمةً مُمِلَّةً لا معنى لها (ينفجر باكياً).

يا صديقيّ الحبيبين.. أعيدوني إلى بيتي في الغسق حتى يسترَني الظلامُ الظلام الذي انغمست في دنياه.. وأهيلوا عليّ التراب حيّاً، فإني لا أستحق أن أعيش.. ولا تخبروا أبي ولا أهلَ قريتِنا بالحقيقة.. أريد ألا تتغير صورتي القديمة في أذهانهم.. لا بدّ أن أبقى سالم الطيب.. الصائم المصلي.. المتفوق في دراسته.. ولا تذكروا لهم شيئاً عن حياتي التعسة في غياهب الجانب المظلم من القمر..

عبد الرحمن: (دامعاً): ليس الأمر على النحو الذي

تتخيله، إن الطبيب أكَّدَ أن أمامَك سنوات طويلة قبل أن يظهر المرض.. والبحث عن العلاج مستمر.. إنه لا ييأسُ من روح الله إلا القومُ الكافرون..

(يجفف سالم دموعه، ثم يلتفت إلى فكري).

سالم: فكري.. يا صديقي الفيلسوف.. كيف ترى الدنيا من خلال دراستك للفلسفة؟

فكري: لغز يحير الأفهام.

عبد الرحمن: لهو ولعب.. متاع الغرور.

سالم: إني أراها مثل ريتا الغانية اللعوب.. ألا يمكن أن أعود طفلاً وأبدأ الحياة من جديد؟

عبد الرحمن: يا ليت!! من ورائنا برزخ إلى يوم يبعثون.

سالم: إذن دعوني أرحل عن هذه الديار..

عبد الرحمن: بل ستبقى.

سالم: ولماذا أبقى؟ هل تتصور أني قادر الآن

على الزواج من ابنة خالتي التي عقدت عليها؟؟ تكلموا.. لماذا لا تعلقون.

فكري: يجب أن تمضي في طريقك حتى يحين الأجل.

سالم: إذن سأبقى في أمريكا إلى الأبد.. هي أولى برفاتي بعد الموت.. ولماذا أذهب موبوءاً إلى وطني.. وطن البراءة والطهر؟

(ثم يصرخ بأعلى صوته المشروخ):

سالم: أحبك يا وطني.. يا دمائي التي في العروق.. أحِبُّك ولن أعودَ إليك.. ذلك لأني أحبك، ولا أريد أن أهرب إليك بقنبلة موقوتة تنفجر في أي وقت (يصمت برهة ثم يقول) يا صديقيَّ الحميمين.. ترى هل يغفرُ الله لي؟

عبد الرحمن: إن الله يغفر الذنوب جميعاً.. إذا شاء.. ألم أقل لك ذلك مراراً؟

(يتطوح سالم كالسكران على المسرح ويتغنى بصوت حزين مجروح):

نـــدورُ فـــي الـــســـواقـــي
وتـــــذرفُ الـــمـــآقـــي
يـــا صـــاحـــب الـــبُـــراق
قـــد ضـــعـــت فـــي الـــوجـــود
الـــقـــلـــب فـــي ظـــلام
والـــعـــيـــش كـــالأحـــلام
يـــا واهـــب الـــســـلام
تـــؤودنـــي الـــقـــيـــود
صـــراعـــنـــا هـــبـــاء
طـــمـــوحـــنـــا هـــراء
يـــلـــهـــو بـــنـــا الـــشـــقـــاء
والـــقـــهـــر لا يـــبـــيـــد
والـــقـــهـــر لا يـــبـــيـــد
والـــقـــهـــر لا يـــبـــيـــد

(ثم يرتمي سالم على الأرض منتحباً).

ستار الختام

